الكلـــمة مفهـــومها ودلالاتـــها

د . عبدالنبي محمد موسى كريم . كلية التربية يفرن . جامعة الزنتان

مُقدّمــة :

يُعنى هذا البحث **بالكلمة: مفهومها ودلالاتها** بالكلمةِ مفردةً ومركبـةً ، أي: من خلالِ التركيبِ ؛ فيجعلُ من الكلمةِ الوحدةَ الأساسَ لبنيةِ اللغة ، وهي التي لا تتحققُ إلا من خلالِ بنيةِ الجملةِ، لذلك فإنه يجمعُ بين وَضْعَي الجملةِ في اللغةِ، ويركز على عدمِ إهمالِ أي وضعٍ منهما في الدراسةِ اللغويةِ بكل جوانبِها، وقد تضمن أفكارًا تنضوي تحت هذا الاتجاهِ البحثي، وتتحققُ بها فكرتُه، وهي :

الكلمة هي المحور الرئيسي في الكلام ، وحد الكلمة ، والكلمة واللفظ ، القيمة المعنوية للكلمة ، كيف تكتسب الكلمة دلالاتها ؟

وهي محاولةٌ للفتِ فكـرِ الباحثين في اللغةِ إلى اتجاه جاد في البحثِ اللغوي؛ ليكونَ مرتبطا بالجانب الدلالي المنسوق مع الواقع الاجتماعي ، فاللغة إنما هي ألفاظٌ وتراكيبُ لأداءٍ دلالي معبر عن مقصودٍ معنوي.

الكلمــة ؛ مفهومها ودلالاتـها:

الكلمة أسـاسٌ في بناءالكلام : حين نتعمَّق في فهمنا للكلمة وعلاقتها بالصوت نجدُ أنَّ الصوتَ ليس إلا سبيلا لبناءِ الكلماتِ ، وإنَّ أولَ مكـونٍ للكلامِ المتصلِ إنما هو أولُ ركنٍ يؤدّي معنى ، ونهايته إنما هو مجموعُ ما يؤدي فكرةً ، فيكوّنُ أفكارًا، تكونُ موضوعًا أو نصًا، أو كلاما متبادلًا . وكلٌّ من هذه كلامٌ متصلٌ ، يُدرسُ ويحللُ ويبحثُ كُلًا متكاملًا. وإن أولَ ما يؤدي معنى من الوحداتِ اللغويةِ إنما هو الكلمةُ. يذكر أولمان أنَّ " الصوتَ والكلمةَ والتركيبَ النحوي هي الوحدات الثلاثُ للكلام المتصل، وهذه الوحداتُ تدخلُ في النظام اللغوي الخاص بكل عضوٍ من أعضاء الجماعةِ اللغويةِ بعد أن تُسْتَخْلَصَ من أحداثٍ كلاميةٍ لا حصرَ لها، سواء أكانت هذه الوحداتُ مسموعةٌ أم منطوقةٌ. وفي الموقفِ المناسبِ يستحضرُ المتكلمُ هذه الوحداتِ، ويتعرفُ عليها السامع بسرعـةِ انعكاسِ الضوءِ واطرادِه" [1].

وليس أيُّ صوتٍ أوكلمةٍ أو تركيبٍ نحوي يمكنُ أن يشتركَ فيما يسمى بالكلامِ الذى يرادُ به معنى مقصودٌ ، وإنما يجبُ أن يكونَ كلٌّ من هذه مرتبطًا بالمعاني، أو ما يؤدي المعاني المصطلحَ

عليها، ولا جدالَ في أن الكلمةَ هي أولُ ركنٍ يحققُ هذا الاتجاه .

أما التركيبُ النحـوي فإنه ينشأ من خلالِ ظواهـرِ هذا التركيبِ، وما تدلُّ عليه من مدلول ، كظواهر الإعرابِ الدالةِ على الموقعيةِ ، والتقديمِ والتأخيرِ، والحذفِ والذكرِ، والاتصالِ والانفصالِ ، وظواهرِ التركيبِ النحويةِ من تركيبِ إفراد، وتركيبِ إسناد، وهى تتعدد ... إلى غير ذلك من ظواهرِ التركيبِ والقضايا النحويةِ، والقواعد الخاصةِ بارتباط الكلمِ بعضِه ببعضِهِ الآخرِ. وما تنشأُ هذه المدلولاتُ للتراكيبِ النحويةِ ولا تتضحُ إلا من خـلالِ العلاقاتِ القائمةِ بين الكلماتِ في الكلامِ المتصلِ . فكل كلمةٍ تؤدي مدلولَ علاقةٍ من علاقاتِ التركيبِ الدلاليةِ من خلالِ كيفية ارتباطها بما يسبقها أو يلحقها من كلماتٍ في التركيبِ ، مع مراعاةِ جوانبها الدلاليةِ في ذاتيتها أو بنيتها.

وما الابتدائيةُ والإخبارُ والفاعليةُ والمفعوليةُ والحاليةُ والعطفُ والبدليةُ والتوكيدُ والنعتُ والحذف والتقديم والانفصالُ إلا علاقاتٌ بين الكلماتِ ، ولا تفهم هذه المعاني إلا من خلال الفهمِ الجيدِ لموقعيةِ الكلمةِ ، أي: بالعلاقاتِ المعنويةِ بينها وبين زميلاتها.

والكلمةُ الواحدةُ يجوزُ لها أن تتداولَ هذه المواقعَ، أو بعضَها، حسبَ موقعِها في الكلام ، وحسب ما تؤديه من معنى ومدلول، وحسب نوعِها الكلى.

أما الصوتُ أو الظواهرُ الصوتيةُ بمفردها فإنها لا تـؤدّي معنى أو مدلولا، بمفردها : وجودها مستقلة عن غيرها، أي : وجود الصوت وحدة مستقلة في ذاتها، لكنه يؤدي دلالةً من خلالِ تآلفه مع غيره.

وليس من قضيتنا هذه ما لوحظ من التفرقةِ بين الاسميةِ والحرفيةِ عن طريق الإمالةِ في الحروفِ التي تبتدئُ بها بعضُ سورِ القرآنِ الكريم(2)، والتفرقةُ هنا ليست في المعاني والدلالات ، وإنما هي في المجموعاتِ النحويةِ ، فالراءُ مثلًا هي الراءُ في مدلولها ، إذا أميل ما بعدها من حركةٍ أو لم يُمَلْ . أما الظواهرُ الصوتيةُ الأخرى – كالمماثلةِ والمخالفةِ والقلقلةِ والترقيقِ والتفخيمِ والإمالةِ وحذفِ بعض الأصوات وظواهرِ الإعلالِ والإبدالِ – فمن المفروض أنها لا تؤثرُ في المعنى والدلالة.

ولما كانت التراكيبُ النحويةُ قائمةً على العلاقاتِ بين الكلمات ؛ ظلت الكلمةُ هى المحور الرئيسي في الكلام .

والمتأمل في النظامِ اللغـوى يجـده يتكونُ من الآتي:

الأصــواتُ ، وهي : محدودة ومعهودة، وتكون من الوحداتِ الصوتيةِ الصامتة، والحركاتِ طويلِها وقصيرِها، وما يحدث من نبر، أو تنغيم أو ظواهرَ صوتيةٍ أخرى.

الكلمـات، وهي : الأصـواتُ المتراصةُ بنظام عرفي لتؤدي مدلولا في المجتمع، أي : الدالّاتِ.
مدلـول الكلمات المعجمي ، أو الاجتماعي، أو المجازي، أي: المدلولات.
الجُمـلُ : التي تتكونُ من الكلمات، وأقلها الكلمتان ، فإذا كانت كلمةً واحدةً فلها احتسابُ الحذفِ لكلمةٍ أخـرى، تتمم معناها، وتقدرُ من السياق.

العلاقاتُ المعنويةُ التي تنشأ بين الكلماتِ من خـلالِ الجملةِ أو الجملِ، وهي تنشأ من دلالات الكلمات المعجمية ، أو الاجتماعية ، أو المجازية ، وهو ما يسمّى بدلالةِ الجذرِ، وهو أساسُ بنيةِ الكلمةِ، وأساسُ دلالتها، ودلالة المورفيمات أو الوحدات الصرفية اللاحقة أو السابقة أو المحشاة ، وهي بالإضافة إلى ما يكون المشتقات ما يدل على: التوكيد ، والعدد ، والنوع ، والتعيين ، والتصغير، والنسب، والنفي ...إلى غير ذلك، هذا إلى جانب ما تدل عليه الصيغ الزائدة في الأفعال، وهو يمكن أن نسميَه بالمفردات الدلاليةِ للكلمةِ الجذر أو الأساس ، ودلالة الرتبة ، ودلالة العلاقة الإعرابية، وكذلك دلالة التراكيب الإفرادية، من: نعت ، وبدل، وتوكيد، وعطف بيان ، وإضافة، وإشارة، وموصولات، والدلالة الصوتية، من: بنيةِ جذرِ الكلمة، ودلالةِ أصواتِها إن التُمِسَتْ، ودلالاتِ التنغيم التي تتمثلُ فى: النعتِ أو الإخبارِ، والوقف والوصل، والتحذير، والإغراء، والسؤال، والتعجب، والاختصاص، والنداء، والاستغاثة، والندبة، والشرط ....إلخ .

وإذا كانت غايةُ اللغةِ هى النص المتصل أو الكلام المتصل الذي يؤدي المعنى العامَ المقصود ؛ فإن هذا لا يتم إلا من خلالِ الجملةِ، سواء أدى ذلك الغرضَ جملةٌ واحدة، أم عدةُ جمل مترابطة متشابكةٍ من طريقِ الأدواتِ الرابطةِ ، أو من طريق الربط المعنوى ، وهو ما يمكن أن يُسَمى بالسياقِ .

ومنه فإنه لا جدالَ في أن الجملةَ هي غايةُ اللغة، حيث لا تكونُ اللغةُ إلا من خلالِ جملةٍ على الأقل ، ويقصر اللغويون الجملةَ على النحو ، وأنها غايتُه.

ويمكن لنا مما سبق أن نجعلَ الجملةَ جسمًا حيًا متكاملًا، يتكـوّنُ من أعضاءٍ وخلايا ؛ إن جاز لنا هذا التشبيهُ .

الخـلايا ؛ إنما هى الأصواتُ بحركاتِها وصوامتِها، وكلُّ خليةٍ لها خصائصُها الحيوية ، وتحيا بالحركةِ التي تربطُها بالأخرى.

الأعضـاءُ ؛ إنما هى الكلماتُ، وكلٌّ له خصائصُه الفسيولوجية، وعن طريق الأداءِ المتكاملِ للأعضاء وما بينها من علاقاتٍ يكون تكاملُ الجسـم.

فالكلمةُ وحدةُ الجملة ، ومن ثَمَّ كانت هي النـواةَ التي دارت حولَها الدراساتُ الصرفيةُ والمعجمية [3]، وقد " وقـع اختيارُ النحاةِ على الكلمةِ دون الصوتِ المفرد، ودون المقطع، ودون

المتلازمين، ؛ لأن الكلمةَ – بحكم تعريفها – لفظٌ مفردٌ، وبحكمِ دلالتها تدل على معنى مفرد.

وهكذا يبدو أن فكرةَ الإفرادِ هي التي أعانت على بناءِ الجملةِ على الكلمات دون غيرِها من وحداتِ التحليل ، أضف إلى ذلك أنها نواةُ صيغة مفردة ، وأن اللواصقَ والزوائدَ تُلصق بها ، وأن ظاهرةَ الإعرابِ في اللغةِ الفصحى ارتبطت بالكلمة ، فالإعرابُ عنهم أثرٌ ظاهرٌ أو مقدرٌ يجلبُه العاملُ في آخرِ الكلمة، وإذا كان أواخرُ الكلماتِ تختلفُ بحسب المعنى، فلا شك أن الكلمةَ تصلح لأن ينسبَ إليها استقلالٌ في بنيةِ اللغة ، لا يمكن أن ينسبَ مثلُه إلى المتلازمين ؛ لأن الإعرابَ لا ينسب إليهما معا، ومن ثم لا يصلحان معا – في رأي النحاة – أن يكونا وحدةً تحليليةً قائمةً بذاتها ، ثم إن الكلمةَ مع ذلك يمكنُ تقديمُها وتأخيرُها ، ويمكن أن تضامَّ الكلماتُ الأخرى ، أو تنفصلَ عنها، وبذلك كله يتحققُ وجودُها النظري باعتبارِها وحدةً تحليلية " [4].

ومما سبق يتضح لنا أن الكلمةَ هي المحورُ الرئيسي في اللغة ، فالأصواتُ التي تسبقها في التكوينِ اللغوي هي التي تكونها ، أو هي المادةُ الخامُ التي تصاغ منه الكلمات، وما الجملُ إلا عدةُ كلماتٍ ذاتِ انتقاءٍ أو اختيارٍ معين ، لكى يكونَ الأداءُ اللغوي السليم، وما العلاقاتُ التي تنشأ في الجملةِ إلا علاقاتٌ خاصةٌ بالكلماتِ، ولكن هنالك علاقاتٌ دلاليةٌ ثابتةٌ في الكلمة تنشأ من الصيغة التي بُنيت عليها، وعلاقاتٌ أخرى متغيرةٌ بتغيرِ وضعِها في الجملةِ أو التركيبِ، لكن هذه العلاقاتِ – أولا وأخيرا - إنما هي تختص بالكلمة.

والمعنى اللغوي الذي تحققه اللغةُ؛ وتتحقق به اللغةُ ؛ ويكون مفيدًا؛ لا يكون إلا بواسطةِ عنصريْن أو أكثر، مع الاعتداد بتلك الكلماتِ التي تنوب عن عنصرين أو أكثر: كحروف الجواب، أو النفي، أو المبتدإ ذي الخبر المحذوف، أو غيرِ ذلك.

وفي النهاية ، فإنه من المحققِ أن المعنى اللغوي لا يتحققُ إلا بواسطةِ عنصرين أو أكثر، وهذا المعنى لا يكون إلا علاقةً أو علاقاتٍ، والعلاقةُ لا تكون إلا بين طرفيْن أو أكثر، ولكنَّ العلاقاتِ تتجاوزُ ما نتصورُه ونرسمُه، مع الملاحظةِ أن الكلمةَ المركبةَ تمثلُ عنصرًا واحدًا، أو طرفًا واحدًا.

فإذا افترضنا أن اللغةَ أو الكلامَ أو هذا المعنى الذي يمثلُ علاقةً قائمةً بين المتحدثِ والمستمعِ كلٌّ؛ فإن هذا الكلَّ عبارةٌ عن أجزاءٍ أو عناصرَ تحققُ كلَّ جزءٍ منه الكلمةُ بمدلولها أو جوانبِها الدلاليةِ المختلفةِ والمتعددةِ... . لذا كانت الكلمةُ العنصرَ الأساسَ في دراسةِ دلالةِ التركيبِ أو التراكيب.

ولتوضيح ذلك نذكر كلمةً مفردةً وفي الجملة، ولْيكنْ مثلًا كلمة (رفيق)، فكلمة (رفيق) علَمٌ تدل على شخصٍ معينٍ في المجتمع، والدلالات التي يكون عليها في المجتمع، غير ما يكون عليها في الجملةِ مقترنا بكلمةٍ أخرى ، فإذا كان (رفيق) في المجتمع يدلّ على شخصٍ في مواصفاتٍ خاصة

به ، أو عامة مع غيره، فإنه في قولنا: رفيقٌ طويلٌ ، اكتسب دلالةٌ أخرى ، وهي طولُه ، أو: ذاكرَ رفيقٌ، فإنه يكتسب دلالةً أخرى في هذا التقييدِ من الكلام ، تفيدُ مذاكرتَه، التي تدل على أنه طالبٌ، أو باحثٌ، أو مهتم بالعلم، أو غيرُ ذلك .... ويمكن أن تتشعبَ هذه الدلالاتُ إلى ما يحتاجُ إلى مهارةٍ دقيقةٍ وشاملةٍ في التحليلِ اللغوي . وهكذا تكتسب الكلمةُ دلالاتٍ في الجملةِ مما يجاورُها من كلماتٍ لا تكونُ عليها إذا احتسبت بمفردها.

هذا؛ إذا لحظنا أن الكلمةَ يمكن أن تخرجَ من معنى العَلَميةِ ، إلى معنى الصفاتِ المشتقةِ ، وحينئذٍ يمكن أن تتخذَ مسارا آخرَ من الدلالات ، وجانبا آخرَ من التراكيب، ويَبينُ كلُّ ذلك من خلالِ علاقةِ الكلمةِ بما يجاورُها من كلماتٍ. لا تكونُ عليها إذا احتسبت بمفردها. لذا كانت دلالةُ الكلمةِ مرتبطةً بالمعنى العام ، وينبع المعنى العامُ من الجهاتِ الدلاليةِ المختلفةِ للكلمةِ.

ومعلومٌ أن الغرضَ الأولَ والأخيرَ من اللغةِ هو أداءُ مجموعِ المفهومِ الدلالى، أي : تحقيق أو إيجاد أمرٍ مفهوم لدى المنشئ اللغوى له دلالةٌ معينة، وينبري هذا المفهومُ الدلالي على الإخبار والاستخبارِ أو الإنشاءِ، وأولُ وحدةٍ لغوية ذاتِ مفهومٍ دلالي هي الكلمةُ ، ومنه يتضحُ لنا مدى أثرِها في الإنشاءِ اللغوى، ولكن هذا لا يبينُ لنا إلا إذا تعمقنا الأداءَ الدلالي المتشعبَ المتكاملَ للكلمة ، الذي يفرضُ اختيارا معينا ومنظَّما من الكلمات، وعن طريقِ هذه الفرضيةِ أو الإجبارِ في الاختيارِ المحكمِ المنتظمِ يتكون التركيبُ أو الكلامُ أو الجملة، أو غيرُ ذلك من المصطلحاتِ اللغويةِ الأكبر في مدلولها.

ومما سبق يتبين لنا أن التركيبَ – بمعنى أشمل، يحتوي الكلامَ والجملةَ وما إليها – إنما هو أداءُ مفهومٍ دلالي؛ لأنه جزءُ اللغة، والغرضُ منها إنما هو مجموعُ الغرض منه، وعليه فإن الوحداتِ اللغويةَ الأصغرَ المكونةَ للتركيب، وهي الكلمةُ أو الكلماتُ، لا تبين علاقاتُها التركيبيةُ إلا من خلالِ الجانبِ الدلالي.

دلالاتُ الكلمةِ : تكتسب الكلمة دلالتها من خلالِ منظورين مختلفين، وهما :

الإفـراد : وهو ما يُسمَّى ببنيةِ الكلمةِ، وما يكون عليه من جذورها من معنى لغوي ... وهذا كله وحداتٌ صرفيةٌ تبنى منها الكلمةُ ...

_ **التركـيب:** وهو وضعُها في التركيبِ ، فتتعالقُ دلالاتُها مع دلالاتِ صواحبِها مما يجاورُها من كلماتٍ مهما كان نوعها، ومهما كان موقعُها وترتيبُها في الجملةِ أو الكلامِ فيتكون السياقُ بكلِّ أنواعه ووسائله ومكوناتِه ليكسبَ الكلمةَ جوانبَ دلاليةً ، كما أنها معه كذلك. وهنا يتدخلُ السياقُ بكلِّ أنواعه ووسائله ومكوناتِه ليكسبَ الكلمةَ جوانبَ دلاليةً، كما أنها معه كذلك، والكلمةُ تُشِعُّ دلالاتِها في الجملةِ باجتماعِ هذينِ المنظوريْنِ أو الجانبين .

حدّ الكلمة : يحرص النحاةُ العربُ في تعريفِهم للكلمةِ أن يُبرزوا جوانبَ أربعة **(5)** ، وهذه الجوانب الأربعة، أو العناصرُ الأربعة للكلمة، هي:

1- الجانب الصوتي: الجانبُ الصوتي يسمّى بالقولِ أو اللفظِ أو الصوتِ في الكلمةِ ويشملُ المستعملَ والمهملَ منها ، ويلحظ أن أصواتَ الكلمةِ ربما كانت إنسانيةً عامة، لكنها تشيع بين أبناءِ مجتمع ما عن طريقِ كيفيةِ نطقها وترتيبها واستخدامِ الحركاتِ الطويلةِ أو القصيرةِ بها ، ويكونُ ذلك بالوضع الذي يتحولُ إلى وراثة أو تراثٍ تتناقله الأجيال ، دون النظرِ إلى ما يحدث من تغيراتٍ صوتيةٍ عبرَ القرونِ والأجيالِ المتعاقبة.

2- الجانب الاجتماعي: يختص المجتمعُ اللغوي بأبنائِه المتحدثين المستخدمين للغةِ بهذا الجانب ، وهو: الوضعُ والاصطلاحُ فهما نابعان من أبناء المجتمع ويصبحان إرثًا متوارثًا لأبناءِ المجتمعِ اللغوي عبر القرونِ والأجيالِ المتعاقبة، ويتأتى ذلك من خلال اكتسابِ الأبناء ما ورثه الآباءُ من ثروةٍ لفظية، ويرى ابنُ يعيشَ أن هذا الجانبَ احترازٌ من الكلمات التي تدل على معنى بالطبع لا بالوضع ، كقولِ النائمِ (أخ)، أو قوله عند السعال (أح أح)، ولكنه لا ينفي دلالةَ اللفظةِ عليها، كما يتحرزُ بالوضع مما يصحف من كلمات ، وكذلك التسمية بالجُمَل، وهى بعد التسمية بها كلماتٌ مفردةٌ بالوضع (6)، ويعلق الأستاذ الدكتور تمّام حسّان على هذه الأصواتِ بأنها ليست من الكلمات ، وهى كذلك؛ لأنها ليست كلماتٍ بالاصطلاح والوضع ، ولكن يمكن القولُ : إنها أصواتٌ قد تكونُ فطريةً ركبت مع بعضها، وسادت اجتماعيًا، لتؤدي مدلولًا يدل على معنى مفهوم، سواء أكانت أصواتا طبيعيةَ الحدث، أي : تصطحبُ الحدث بحكم طبيعته، كما يحدث عند السعال ، أم أكانت غيرَ ذلك، كقول النائمِ السابقِ ، وهو يختلفُ من حالة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر.

3- **الجانب الدلالي** : حيث توضعُ الأصوات بانتظامِها واتساقِها المتفقِ عليهما للدلالةِ على معنىً معينٍ ، أو مدلولٍ أو مسمىً معينٍ ، ويجعلون المعنى ممثلًا لقسمين[7] لأشياءَ موجودةٍ فى العيان، إن كان من المحسوساتِ كـ : زيدٍ وعمرو، وأشياءَ موجودةٍ في الأذهان إن كان من المعقولاتِ ، كـ : العلم والإدارة، وما تحتويه المشاعرِ والعواطف ، والنزاعاتِ ... إلخ.

4- الجانب العددي: فإذا كان النحاةُ العربُ يصفونَ الكلمةَ بصفةِ الإفرادِ، فإنهم لا يعنونَ به هنا الجانبَ الصوتيَ ، وإنما يعنونَ به الجانبَ المعنويَ ، حيث تكونُ الكلمةُ لفظةً دالةً على معنىً مفردٍ بالوضع[8]، واحتسابُ ذلك أن يدلَّ مجموعُ اللفظِ على معنى، ولا يدل جزؤُه على شيءٍ من معناه، ولا على غيرِه من حيثُ هو جزءٌ له. فقد تكون الكلمةُ الواحدةُ صوتيًا تمثلُ دلاليًا كلمتين أو أكثر تدل على مثلِ مدلولِها، كما إذا سُمي شخصٌ بالاسمِ (أحمد)، وآخَرُ بالاسم (عبد الله)، أو

(فتح الله)، وكما نلمسُه في الكلماتِ المنحوتةِ، وهى تؤدي معنى كلمتين أو جملة.

وليس ذلك أن تكونَ الكلمةُ أو الكلمتان دالةً بالضرورة على مسمًّى واحد، أو مدلولٍ واحد فقد تكون كذلك، ولكنها تتضمن معنيين ، " نحو: الرجل والغلام ونحوهما مما هو معرف بالألف واللام ، فإنه يدل على معنيين: التعريفِ والمعرَّف، وهو من جهةِ النطقِ لفظةٌ واحدةٌ ، وكلمتان إذا كان مركبًا من الألف واللام الدالةِ على التعريف، فهى كلمة ؛ لأنها حرف معنى، والمعرف كلمة أخرى" [9] .

أما علماءُ اللغة المحدثون فلهم مذاهبُ شتى في تعريفِ الكلمةِ تتباينُ باختلافِ نظرتهم أو دراستِهم لها، ويشير (أولمان) إلى هذه النظراتِ وما ينجمُ عنها من تعريفاتٍ للكلمة عند هؤلاء المحدَثينَ في قوله : " الكلمةُ كما رأينا هي أصغرُ وحدةٍ ذاتِ معنى للكلام واللغة، بيد أنه ليس هناك تعريفٌ وحيد، أو تعريفٌ جامعٌ مانعٌ لمثلِ هذا النوعِ من المصطلحاتِ المجردةِ، فهي مصطلحاتٌ يصعبُ تعريفُها، وإن كان من السهل عادة التعرفُ عليها، ولقد اقترحت عبارات فنيّة شتى يقصد بها إلى بيان بعضِ الجوانبِ الأساسيةِ للكلمة، فهناك من العلماء من يهتم بوظيفتِها بوصفِها وحدةَ المعنى، ومنهم من يعدها أصغرَ صيغة حرة ، وهذه عبارة: (بلومفيلد)، ويعني هؤلاء بذلك - كما صرح(ل. ر. بالمار) : أنها أصغر وحدةٍ كلاميةٍ قادرةٍ على القيامِ بدورِ نطقٍ تامٍ ... . ، ومدرسة فكرية ثالثة تُفضّل وصفَ الكلماتِ بأنها مقابلاتٌ استبداليةٌ – (itution counters subst)، وهذا رأي (ج.ز.فيرث) ، وفي هذه الحالةِ يكون تناظرُ الأصواتِ هو الفيصلَ في الأمرِ ، وتوضيحُ ذلك – مثلا - أن استبدالَ الأصواتِ ذاتِ الصفات المميزة بغيرها ، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدّي إلى وجودِ كلماتٍ جديدةٍ " **(10)** .

ومجموعُ هذه التعريفاتِ يمكنُ أن يكونَ مثاليًّا لتعريف المصطلحِ اللغوي للكلمةِ.

وكما ذكرنا سابقًا ؛ فإن النحاةَ العربَ قد راعَوْا في تعريفهم للكلمةِ جوانبَها المختلفةَ، الشكليةَ أو البنيويةَ منها، والدلاليةَ، والوظيفيةَ ... إلخ.

الكلـمة واللفـظ:

الكلمـةَ : أخصُّ من اللفظِ في الدراساتِ اللغويةِ العربيةِ، حيثُ يكونُ اللفظُ مشتقًّا من لفظِ الشيءِ، ومجّهِ من الفمِ (11) فكلُّ صوتٍ لفظٌ، سواءٌ عبَّر عن مدلولٍ وكان له معنىً، أم لم يكن.

أمَّا الكلمةُ فهي الصوتُ الذي يرتبطُ بمدلولٍ ومعنىً، فكلُّ كلمةٍ لفظٌ، وليس كلُّ لفظٍ كلمةً (12).

فاللفظُ جنسٌ يشمل المستعملَ من الكلماتِ التي اصطلح على معناها، وهو مصدرٌ بمعنى اسمِ المفعولِ، أى: الملفوظ.

ويذكر الفخرُ الرازي (13) عن الحكمةِ فى وضعِ الألفاظِ للمعاني، ويربط ذلك بنقلِ الإنسانِ ما في ضميرِه إلى غيرِه، ولهذا طرقٌ كثيرةٌ، منها : الكتابةُ والإشارةُ والتصفيقُ باليدِ والحركةِ بسائرِ الأعضاءِ ... .

وأسهلُها وأحسنُها التعبيرُ بالألفاظِ، فهي تحدث بالأصواتِ من غيرِ كلفةٍ ومعونةٍ، وهذه الأصواتُ تفنى في الحال، وتحصلُ عند الاحتياجِ إليها، وكما أنها تتولدُ بتعددِ المخارجِ وأوضاعِ أعضاءِ النطقِ، فيتولدُ منها كلماتٌ تكادُ أن تصيرَ غيرَ متناهيةٍ ؛ لهذا فإن أحسنَ التعريفاتِ لما في القلوب هو الألفاظُ .

صورتا الكلمـة:

يجعلُ علماءُ اللغةِ المحدثون الكلمةَ ككل العلاماتِ والرموزِ، لها صورتان في الوجود: وجود بالقوة ، ووجود بالفعل. فكل كلمةٍ تُسمعُ أو تنطقُ تتركُ في أثرها مجموعةً من الانطباعات في ذهنِ كل من المتكلم والسامع، انطباعات الأصواتِ، وانطباعات حركاتِ أعضاءِ النطق...(14). وهم بذلك يربطون بين اللغة والكلام والكلمة في هذا الجانب .

لكن؛ ما مدى الحيّز الدلالي للكلمة أو اللفظةِ في اللغة ؟

يذكر الفخر الـرازي: " للألفَاظِ دلالاتٌ علَى ما في الأَذهانِ لا على ما في الأعيانِ، ولهذا السبَبِ يُقال: الألفَاظ تَدل على المَعاني؛ لأن المعانِي هِي التِي عناها العَاني، وَهِي أُمور ذِهنِيةٌ، وَالدلِيلُ علَى ما ذَكَرنَاه مِن وَجهيِن:

الأَول : أَنا إِذَا رَأَينَا جِسمًا مِنَ البُعدِ وَظَنَنَّاهُ صَخرةً قلنَا: إِنَّه صخرَةٌ، فَإِذَا قَرُبنا مِنه وَشَاهَدنَا حَرَكتَهُ وَظنَنَّاهُ طيرًا قُلنَا: إِنَّه طيرٌ، فَإِذَا ازدادَ القُربُ عَلمْنَا أَنَّه إِنسَانٌ، فَقلنَا: إِنَّه إِنْسَانٌ، فَاختِلَافُ الأَسمَاءِ عِندَ اختِلَافِ التَّصَوُّرَاتِ الذِّهنِيَّةِ يَدلُّ على أَنَّ مَدلُولَ الأَلفَاظِ هُوَ الصُّوَرُ الذهنية لا الأعيانُ الخارجةُ .

الثانِي: أَن اللفظَ لَو دَلَّ على الموجودِ الخَارِجِيّ لَكان إِذَا قالَ إِنسَانٌ: العَالَمُ قَدِيمٌ، وَقَالَ آخَرُ: العَالَمُ حَديثٌ؛ لَزمَ كَونُ العَالَمِ قديما حديثا معا، وَهُوَ مُحَالٌ، أَمَّا إِذَا قلنَا: إِنَّهَا دَالَّةٌ على المَعَانِي الذهنِيَّةِ كانَ هَذَانِ القَولَانِ دَالَّينِ عَلَى حصولِ هذَينِ الحُكمَينِ مِن هذينِ الإِنسَانَينِ، وَذَلِكَ لَا يَتَنَاقَضُ" (15). ولكننا نرى أن الدلالةَ هي العلاقةُ القائمةُ بين المدلولِ واللفظِ أو الكلمةِ ، وقد ذكرنا أن هذه العلاقةَ تتعددُ وتتنوعُ جهاتُها باعتباراتٍ عديدةٍ ومن خلال ذلك يتضح لنا الآتي :

1- إن الكلمةَ هي المحورُ الرئيسي في الكلام.

2- ترابطِ الكلماتِ بعضِها ببعضِها الآخر في الكلام المتصل.

3 - اللغةَ لا تتمُ إلا من خلالِ الجملةِ ، وبدوره فإن الكلامَ لا يتم إلا من خلالِ جملةٍ، والجملةُ لا تكونُ إلا بواسطةِ إسنادٍ بين كلمتين أو أكثر، يحسن السكوتُ عليهما، ويؤديان معنىً إخباريًّا او استخباريا أو إنشاءً وطلبا ....

4- أن الصوتَ بمفردِه لا علاقةَ له بالمعنى إلا إذا كانت الكلمةُ مبنيةً من وحدةٍ صوتيةٍ بتأثيرِ الوضع، ك: همزةِ الاستفهام، وباء الجر، أو بتأثيرِ التغيراتِ الصوتية، وإن شئت التغيراتِ الصرفية كما في: (عِ)، أو: (قِ) فِعْلَي أمرٍ، وإذا استثنينا كذلك ما تؤديه الأصواتُ من وظائفَ صوتيةٍ في بنية الكلمات، وهى الوظائفُ الصرفية، وتبدو في المشتقات، وفى تعبيرِ دلالةِ الكلماتِ بإبدالِ صوتٍ، أو زيادتِه، أو حذفِه (16).

5 _ " الأصواتُ ليست رموزًا مستقلةً استقلالًا تامًّا، أي: أنها ليست ذات معنىً خاصٍّ بها، فالأصوات المفردةُ: الفتحةُ والباء واللام – مثلا - لا تعني شيئا بنفسها، وإنما وظيفةُ هذه الأصوات هي أنها تكون وحداتٍ أكبر" (17) .

6- الكلمات إنما هي الموضوعةُ في اللغة للدلالة على المعاني ، والعلاقاتِ بين الكلمات هي التي تؤدي إلى العلاقاتِ الظاهرةِ والباطنة، أو العلاقاتِ المتضحةِ والكامنةِ، أو العلاقاتِ الحقيقيةِ والمجازيةِ ، والتي تؤدي في النهاية إلى المجموع المعنوي للجملةِ، أو الفقرةِ، أو الموضوع، أو الكلام، أو الكتاب، أو القصة، أو غيرِ ذلك من فنونِ الكلام ؛ فالمعنى: هوعلاقةٌ متبادلةٌ بين اللفظِ والمدلول، مباشرةٌ أو غير مباشرة ... (18).

ومما سبق يتضح لنا أن معنى الكلمةِ لا يمثلُ كلامًا أو لغةً إلا بجانبِ غيرِها، حيثُ لا تمثلُ غايةً مفهومةً من المنطوق، وقد أشرنا إلى الكلماتِ المفردةِ التي تغني عن أكثرَ من كلمةٍ باعتبارِ الحذفِ ، أو سبقِ الذكر، أو غيرِ ذلك من عوارضِ التركيب.

وبهذا يمكن تحديد الكلمة بأنها "الأصوات التي تبني الوحدةَ اللغويةَ الأساسيةَ الموضوعةَ لمدلولٍ أساسٍ يحتاجُ إليه المجتمعُ" .

القيمة المعنوية للكلمة :

في هذا المجالِ نرى أن الكلمةَ تستمدُّ جوانبَها الدلاليةَ من خلال منظورين:

أولهما: وضعُها الإفرادي، وهذا يعتمد على المعاجمِ والتراثِ اللغوي وقوانينِ البنيةِ الصرفيةِ ؛ بمراعاةِ تضامِنِها مع المنظورِ الآخر (السياقي) .

الآخر : وضعُها السياقي: وهذا المنظورُ تتعددُ مصادرُه وملتبساتُه؛ ولذلك فإن الجوانبَ الدلاليةَ التي تكتسبُها من هذا المنظورِ تتعددُ إلى ما لايمكن قصرُه وحصرُه ؛ إلا من خلالِ متمرسٍ موهوبٍ واعٍ قادرٍ؛ لأن الكلمةُ في السياقِ تكتسبُ دلالاتِها من خلالِ تزاوجِها بكلمةٍ ما، أو أكثرَ في التركيبِ،

أو الجملةِ، أو السياقِ، ويمكن دراسة ذلك من خلال نصٍ ما ولا بُدَّ من معرفة العوامل التي تؤثر في الدلالة ...ومن هذه العوامل:

موضـوع النـص : فهو الإطارُ الدلالي العام الذي وضع فيه الكلماتُ، وكلٌّ من الكلماتِ وموضوعِ النص يعكسُ وجهَ الآخرِ، ويرى نفسَه فيه، فالكلماتُ الموحيةُ أرقى وسائلِ التعبيرِ عن الجانبِ الدلالي ... .

ثقافةُ المبـدعِ أو المتحدثِ أو الكاتب ، من : أخلاقيات : صدق، كذب، نفاق، رياء، تزلف وقربى، معتقدات، فكر سائد، تطرف ومغالاة، تسامح، تفكير منطقي وعلمي، خداع، سفسطة، تزييف ... . ، وهذا يسايرُ إما روحَ العصر، وإما السائدَ في البيئة، وإما مداهنةَ النظام، وإما إغلاقَ الذهن والفكر والتفكير لمناصرةِ اتجاهٍ معينٍ مهما كان نوعُه، وإما إلغاء الشخصية الذاتية تأثُّرًا بأخرى أو بشخصية جماعةٍ ما، وإما ... . مع ملاحظةِ أن الثقافةَ السائدةَ في المجتمعِ تؤثرُ إلى حد بعيدٍ في ذلك ... وهي تختلفُ من عنصرٍ إلى آخرَ، ومن مجتمعٍ إلى آخر ... . ، ومن ذلك: الاستهانة بالمجتمع وبالشارع وبالعادات والتقاليد، أو احترامٍ لها، واحترام الذات والاعتزاز بها، أو فقدانِ الثقة فيها، والانتماء لفكرٍ معينٍ أو...

استعداد الكاتبِ أو المتحدثِ : من موهبة فطرية، أو صنعةٍ، أو خيالٍ، أو غيرِ ذلك من ميلٍ إلى التقليدِ ، أو الابتكارِ ، أو ... .

البيئة المحيطة: من طبيعة ، تلوث بيئي، أزمات سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو أمنية، أو غيرِ ذلك ... من كبتٍ وضغوطٍ سياسيةٍ من خلالِ النظامِ والحكم، وحرية ... إلـخ .

الخاتمـة:

تم من خلال هذا البحث " الكلمة: مفهومها ودلالاتها " دراسـةُ الكلمةِ في اللغةِ دراسةً نصل منها إلى ماهيتها في الواقعِ اللغوي ، فنُظر إليها من جانب وضعِها الإفرادي ، ووضعِها في التركيبِ أو الجملةِ، وقد توصّل البحث إلى الآتي :

1- الكلمةُ هي المحورُ الرئيسي في الكلامِ ، وما الصوتُ إلا سبيلٌ لبناءِ الكلمةِ، كما أنها هي التي تتداول المواقعَ الإعرابيةَ في الجملةِ والكلامِ، وللكلمةِ في الكلامِ جهاتٌ دلاليةٌ متنوعةٌ تكتسبها من خلالِ تضامنِها، وكيفيةِ تراتُبِها ونطقِها، إلى جانبِ ما بنيت عليه من جذرٍ وحركاتٍ وسوابقَ وحشايا ولواحقَ ...إلخ.

2- الكلمةُ تحتفظُ بذاتيتِها الصوتيةِ في ذهنِ السامعِ ضمنَ الإطارِ العام لنظامِ اللغة، وقد حدَّ اللغويون الكلمةَ بحدودٍ عديدةٍ، لكن النحاةَ العربَ حرصوا على إبرازِ جوانبَ أربعة : الصوتي، والاجتماعي، والدلالي، والعددي.

3- رأى هذا البحثُ أن الكلمةَ هي الأصواتُ التي تبني الوحدةَ اللغويةَ الأساسيةَ لمدلولٍ أساسٍ يحتاجُ إليه المجتمعُ. وتبرزُ القيمةُ المعنويةُ للكلمةِ من خلالِ منظورَيْن: أولهما: وضعُها الإفرادي، والآخـر: وضعُها السياقي.

وتكتسب الكلمةُ دلالتَها من خلالِ تضامنِ المنظورَيْن مجتمعَيْن، ولكل منها جوانبُ ووسائلُ عديدةٌ لا يتسع مجال البحث لذكرها، ولعلنا ندرسها في مباحث قادمة – بعون الله.

الهوامـــش:

(1) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط2، 1969م:31.

(2) ينظر في ذلك: الكتاب لسيبويه، أبي بكر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 66-1975م 4-135/ المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1384هـ: 3-52/ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، بيروت، دار المعرفة ، د. ت: 6-198/ الإقناع: ابن الباذش، 1-321:323/ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي) التجارية، القاهرة ، د.ت . 2-69،66.

(3) مقالات في اللغة والأدب، للدكتور تمام حسان، مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1405هـ - 1986م : 238 .

(4) مقالات في اللغة والأدب، للدكتور تمام حسان، مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1405هـ - 1986م : 238 .

(5) شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (المتوفي: 643هـ) عالم الكتب، ومكتبة الخانجي، د.ت: 1-20،19/ ابن هشام، شرح شذور الذهب: 11-12/ ابن عقيل، المساعد:1-4/ السلسيلي، شفاء العليل:1-95.

(6) شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (المتوفي: 643هـ) عالم الكتب، ومكتبة الخانجي، د.ت. 1-19

(7) نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، ط2، 1984م 39

(8) شرح المفصل، ابن يعيش:1-19

(9) شرح المفصّل ابن يعيش: 1_ 91.

(10) أولمان : دور الكلمة في اللغة، ترجمة د: كمال بشر: 41 .

(11) يرجع إلى: الصحاح، ولسان العرب، والمعجم الوسيط، مادة (لفظ).

(12) ينظر: شرح المفصل ابن يعيش: 1-19 .

(13) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: 1-33 .

(14) أولمان ، دور الكلمة : 28.

(15) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: 1-21 .

(16) اللغة للعربية بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان، 114 ، 117 ، 118 .

(17) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط2، 1969م:30.

(18) دور الكلمة: 72 .